الباب السادس

قيادي من داخل الوطن يضيء صفحات منسية

قبل هزيمة حزيران ١٩٦٧ وبعدها راحت بعض الكادرات تقرأ الفكر الاشتراكي وتجارب ثورية، ومع نهايات الستينات وبدايات السبعينات انغمست الكادرات داخل سجون الاحتلال بدراسة منهجية وكثيفة، ومع مرور الوقت ارتقى أفراد من هؤلاء سواء في فترة اعتقالهم أو بعد التحرر، وأصبحوا يقتربون، وإن بتفاوت، من مستوى القيادة النظرية. بما أوجب عليهم الدراسات الغزيرة لعلوم شتى ونظريات شتى وأداب شتى، والميثولوجيا والديانات، والكثيرمن الفكر الرأسمالي والفكر الاشتراكي، في حقول الاقتصاد والاجتماع والسياسة والفلسفة. إن امتدادات الجبهة اتسعت في السجون وخارجها، وتوالدت أسئلة كثيرة باتت تتطلب اجابات عميقة، كما أن الصفوف الكادرية تضاعفت وأحرزت تراكما ثقافيا وفكريا، وهي من نفس العمر، ولم تعد الإجابات الساذجة تقنعها. وبات من الضروري إقامة علاقة حوارية معها تفضي لاستنتاجات ومقاربات مشتركة، سيما أن هؤلاء ينتشرون في اللجان الحزبية، فهم شركاء عمل، وبعضهم ارتقى للهيئات المركزية في مؤتمر ١٩٨١، ناهيكم عن أن سنوات التحول، سيما في قلاع السجون، لم تشهد جدالات حامية الوطيس على صعيد داخلي فقط، بل جدالات و«مخافشات» أوسع مع الفصائل الأخرى، سيما فتح التي كانت أغلبية القاعدة الاعتقالية، مثل هذه «المخافشات والجدالات» كانت حافزا على المعرفة، فالتناقص جذر التطور.

لقد ارتقت العملية التنظيمية وتعقدت العملية النضالية وطرأت تحولات ملموسة على المجتمع في الوطن المحتل الذي انتقل من ثلاثة أرباع مليون في أواخر عام ١٩٦٧ م الى ضعف ذلك في أواسط السبعينات، وهو اليوم أربعة ملايين ناهيكم عن مليون ونصف داخل «الخط الأخضر».

واتسعت العملية التعليمية، وراحت تتأسس الجامعات وتتشكل النخب وبدايات المجتمع المدني سيما الفصائلية السياسية والنقابات العمالية والمهنية إضافة للجمعيات والأطر النسوية.

هذا كله أوجب كفاءات قادرة على بناء المنظمات الحزبية وحمايتها وتطويرها وتفعيل طاقاتها ورسم خطط وتاكتيكات صائبة، كما فهم الواقع وتحولاته، والأهم من ذلك مقاومة الاحتلال الذي لم يكف ليوم واحد عن مهاجمة أدوات اليقظة الوطنية وكل ما هو فلسطيني.

لم يكن صعبا استيعاب الخاصية الاساسية للنضال الفلسطيني، فالعدو عنصري أجلائي يعمم مخططاته في ١٩٤٨ على ١٩٦٧.